

هل تستعيد واشنطن نفوذها في العراق؟

■ **حميدي العبدالله**

بات في حكم المؤكّد أنّ الولايات المتحدة وحلفاءها في المنطقة، لعبوا دوراً كبيراً في تسهيل تمدّد «داعش» داخل العراق المرّد على نتائج الانتخابات البرلمانية، ولقطع الطريق على تشكيل حكومة أكثرية، وهو الشعار الذي رفعة ائتلاف دولة القانون بزعامة رئيس الحكومة المنتهية ولايته نوري المالكي. مؤشرات تشكيل الحكومة الجديدة، بعد إطاحة المالكي، تشير إلى تشكيل حكومة محاصصة بين الكتل الكبرى الثلاث: التحالف الوطني (الأحزاب الشيوعية)، الكتل السنية، وكتلة الأحزاب الكردية.

تراهن الولايات المتحدة على احتمال أن تؤدّي العودة القوية للأحزاب الكردية، وتحديدًا حزبا البارزاني والطالباني، والأحزاب السنية المرتبطة بتركيا والسعودية وقطر، إلى عودة نفوذها إلى العراق الذي خسرتُه بعد انسحابها عام 2011، لا سيما في ضوء حاجة العراق إلى الدعم العسكري الأميركي، سواء عن طريق تدخل الطيران الحربي أو وجود مستشارين أميركيين في بغداد وأربيل.

من غير المستبعد أن تستعيد الولايات المتحدة بعض النفوذ الذي خسرتُه، وتحديدًا عبر مشاركة الأكراد والأحزاب السنية في الحكومة الجديدة، والحصول على بعض الكعائب ذات التأثير الأمني والسياسي، ولكن من الصعب الاستنتاج باستعادة النفوذ الأميركي في النحو الذي كان عليه عندما كانت القوات الأميركية تحتل العراق. فرئاسة الحكومة هي للتحالف الوطني، وتحديدًا لحزب نوري المالكي حزب الدعوة، وبعض الحقبان السيادية، الدفاع أو الداخلية، ستكون أيضاً من حصة هذا التحالف، ويمكن القول إنّ الحكومة الجديدة ستكون حكومة مساكنة بين «التحالف الوطني» الذي هو حليف إيران أكثر منه حليف للولايات المتحدة ودول المنطقة المؤيدة لها، وبين القوى المؤيدة للولايات المتحدة، وسيتجاوز النفوذان الإيراني والأميركي، ويتصارعان، وربما أقرب بصيغة تشبه ما سيؤول إليه حال العراق بعد تشكيل الحكومة الجديدة، هو حال الحكومات التي تشكلت في لبنان منذ عام 2005 وحتى اليوم، حيث من المعروف أنّ الحكومات تكون عادةً موزعة مناصفة بين الأحزاب والقوى المؤيدة للحزب وحكومات المنطقة المتحالفة مع الغرب، وبين القوى المؤيدة لمنظومة المقاومة والممانعة المتمثلة بسورية وإيران.

راهنا لن تكون هناك مشاكل حادة إذا تمّت تدليل الخلافات التي تعترض توزيع الثمن، لأنّ خطر «داعش» حفر الأطراف الإقليمية والدولية، وبالتالي الأطراف العراقية، على تنحية خلافاتها جانباً، على الأقل مؤقتًا، ولكن لاحقًا إذا هُزم «داعش» وتراجع خطر استعدود الصراعات من جديد، أو لا بين الأكراد والحكومة المركزية، وثانياً بين الأطراف الشيوعية، والأحزاب السنية على حجم النفوذ داخل الدولة العراقية.

إشاعات تعجب دمشق ليلاً

مذ منتصف ليل السبت - الأحد حتى الصباح كان أغلب سكان العاصمة السورية عرضة لحرب إشاعات غزلت صفحات التواصل الاجتماعي وانتقلت كالنار في الهشيم، إلى أن وصلت رسائل على هواتف المواطنين تؤكد لهم أنّ ما يسمعونه غير صحيح وأنّ دمشق بأحيائها تحت عناية الجيش العربي السوري.

التقدم الذي يحققه الجيش في جوبير رافقته ثورة تسرّب منها المسلحون، وقد تكون تركت عدماً لهم كما في العرة الماضية، ولكنين الذي نصبه الجيش لاستراجهم إلى ساحة العباسيين، والتسرّب وصل إلى أطراف حي الكاسر العطل على باب توما وياب شرقي والدويلعة، فانتقلت الأخبار مضخمة ومبالغ فيها عن سقوط هذه الأحياء وحكومات المسلحين وصولاً إلى إشاعات طالوت حي جرمانا وسقوطة.

كل المعطيات العسكرية تؤكد ميدانياً أنّ الجيش السوري يسيطر على الأحياء الثلاثة ويقدم في حي جوبير ويتعامل بهيمنة وحرافية عاليتين مع المجموعات المتسرّبة.

القضية الأهمّ من الميدان صارت التعامل مع الحرب النفسية وحرب الشائعات.

مصادر خبراء في الحرب النفسية عمّت نصائح على الناشطين على صفحات التواصل في كيفية التعامل مع مثل هذه الحالات، وتضمنت:

1- كل ست ساعات في الظروف العادية وكل ساعة في الظروف المليئة بالإشاعات يكفي كل واحد من منطقة وجوده وجوارها ما هو مؤكد عنده، مثلاً: «من حي القدم في دمشق لا اشتباكات والجيش العربي السوري سيمطر على الامور»، أو «حي الدويلعة اشتباكات خفيفة لكن كل شيء بخير والجنش يسيطر على الأوضاع»، أو «حي الزهراء في حمص هدوء تام، أو ما شابه...»
2- كل صديق يصله من أصدقائه الذين يعرفهم جيدا، والأخبار لا تشغل البال، مثل هذه الشهادات، يقوم بالنتشر للتعميم، وحيث الخبر يلفت الانتباه مثل «سقوط شارع» أو «موت مسلحين»، أو ما شابه... يقوم بالارتصاص هاتقياً بمن يعرفه في المنطقة المعنية، وفي حال كان الخبر كاذبا يقوم بنتشر التفي فوراً بصيغة: «اتصلت الآن بأصدقاء موقوفين في حي كذا بالأسور بخير ولا صحة لتوزيع أخبارنا يتناقها بعض المغرضين...»
3- عندما تنتشر حملات تزويج الإشاعات يجب الاستفزاز أمام أجهزتنا والتفرّغ بدل النشاط التقليدي مع أصدقائنا لنشر نفى كل نصف ساعة لما نسمع وننتق من كذبة بالارتصاص المباشر، وتتوسّع لنشر على الصفحات التي تنتسب إليها، وتستنقفر المجموعات لتندب بالنتشر السريع وننتشر على صفحات وحسابات من نعرفهم بصيغة تاغ.
4- تقوم في حال الحالات التي يشتدّ فيها سريان الإشاعات بإرسال الرسائل القصيرة عبر الهاتف وعلى الواتس اب لكل أصدقائنا لتكذيب ما ينتشر من الشائعات ونستخدم الرسائل للوصول إلى وسائل الإعلام مثل «توب نيوز» و«شام اف ام» و«قناة سما» والإخبارية...وسواها...

وختمت المصانير بدعوة كل الصفحات الداعمة للجيش لاستنفاز مندوبيها والتّهوُّب لمتابعة كل جديد خصوصاً في أثناء حسم معركة جوبير وما سيرفها من تداعيات حيث تشكل هذه المعركة مفتاح تغيير المشهد العسكري والأمني في دمشق ويكفي.

«توب نيوز»

لبنان وخطر الانهيار

– أظهرت عمليات «داعش» بذبح عسكريين من الجيش اللبناني أنّ الهشيم اللبناني جاهز للاشتعال مع أول شرارة من هذا العيار.
– ظهر إدراك «داعش»، وشغليها لنقاط الضعف في التركيبة الحكومية اللبنانية وتأثيراتها على الجيش وقراراته العسكرية.
– في عرسال لم يستكمل الجيش معركته نحو إغلاق الجرد وتطويق البلدة محاصرة المسلحين، بل فرضت تسوية أقيمت عرسال مسرحا متاحا والجرد ملاداً أمناً، ونجح المسلحون بتامين خروج المخوفين معهم.
– في عرسال لم يستكمل الجيش معركته نحو إغلاق الجرد وتطويق البلدة اللبنانية وخرابتهما بالاستعداد للمقايسة على موقوفين يمثلون قادة عمليات التجنيد والتجنيد الانتحاريين.
– الحكومة تتحجم عن التسليم مع الحكومة السورية لضمان تعاون الجيش اللبناني والسوري عبر الحدود للضغط بحصار حقيقي يركع بنتيجته المسلحون لتقاوض بشروط مختلفة.
– الحكومة تتهرّب من مطالبة القضاء بحسم بوضع أحكامه ضدّ الإرهابيين الموقوفين، خصوصاً منهم من تطاله أحكام إعدام، موضع التنفيذ فيصير توازن رعب بيد الحكومة لأن عدم تنفيذ الحكم هو قرار سياسي يخضع للتفاوض ولا يختلف عن الإبراج قانونياً وإجرائياً.
– الخوف من الشارع والغوران الطائفي والحكومة نائمة.
– «التعليق السياسي»

■ جعفر محمّد حسين فضل الله

إنّ الدراسة الموضوعيّة للسلوك الإجرامي لمعاملات التكفير قد تخلص إلى أنّ هذا السلوك يقوم على أمرين:
الأوّل: المنحى التكفيري ضد ذات الآخر.
الثاني: عوامل داخلية وخارجية لعبت دورًا في بناء الشخصية، بما سمح لذلك المنحى بالتعبير عن نفسه في سلوك وحشي إجرامي منقطع النظير في هذا العصر.

وتحسّب هنا أنّ وعي هذين الأمرين مهمّ من أجل التخطيط لعلاج منابع هذه الظاهرة في نظمنا التعليمية وال تربوية، سواء في المعاهد الدينية أو المدارس، وكذلك في نظمنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما إلى ذلك: تكون هذه الأخيرة ذات أثر في إيجاد مناخات ملائمة لسلوك عنفي أو غير عنفي، تبعًا لطبيعة الضغط الذي تمارسه على المجتمعات.

في البُعد الفكري للتكفير، نقول إنّهُ لا مفرّ من وجود تكفير فكريّ في صراع الأناكر؛ لأنّ قناعات بفرقة ما على أنها الحقيقة السننح – حُكمًا – إنّ الفكرة المضادة هي الزيف والباطل أو الضلال أو ما إلى ذلك، واعتبارها زيفًا وضلالًا نوع من التكفير؛ وإذا حدثت أمرًا ما على أنه شرط للانتماء للإسلام، فإنّ فقدان هذا الشرط سيخلّ بهذا الانتماء، وما إلى ذلك، وهذا يعني أنّ الكفر بالشرط كفر بالإسلام، إلى غير ذلك من الأمثلة على حالة التضاد بين القناعات والأفكار المخالفة لها، انطلاقًا من مبدأ أنّ الحق لا يتعدّد.

ولقد مارس القرآن الكريم نفسه هذا اللون من التعبير، كما في قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة)^(١)، أو (لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم)^(٢)، وغير ذلك من الموارد التي كانت تتحرّك في إطار النقاش العلمي لأفكار الآخرين وعقائدهم، وإذا أردنا أن نضرب مثالًا من تعابير الحوارية، فقد نستطيع تصوير الكفر هنا على أنه من قبيل أن يقول القائل إنّ فكري هي الحقيقة، وفكرتي هي الخطأ، ويردّ الآخر بعكس ذلك، ونحو ذلك ممّا يدور في حواراتنا الفكرية أو العقيدية. هذا كله، بغض النظر عن نسبية مفهوم الكفر في عالم الحوارية، أيضًا، بمعنى أنه قد يعبر بالكفر عنّ كفر بفكرةٍ ما، في الواقعة الذي يُعتبر فيه مؤمّنًا قياسًا بفرقة أخرى، وقد استخدم القرآن الكريم هذا المنحى حيث قال: (إنّ الذين آمنوا

بين التكفير الفكري والتكفير الإجرامي

والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا هم أجرم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٣)، حيث أثبت لهم الإيمان بالله صعبة للثق بالضرورة، فليس كذلك؛ إذ ما المانع أنّ تكون قناعتى مغلّطة أو غير دقيقة!؟ السنا نغير كثيرًا من قناعات سابقة نتيجة اطلاعنا على معطيات جديدة، أو نتيجة تغيّر وجهة نظرنا في الموضوع؛ في الوقت الذي لو سلّمنا واليقين أنّ قناعتنا هي الحقيقة.

وقد نلح هنا أنّ منظومة القيم في نظر الإسلام وتبسيّلة، بمعنى أنها تؤخّذ واحدة والوحدة، وليست مرتبطة بمجرد الانتماء إلى جماعة، وهذا هو الذي جعل القرآن يذّم المسلمين على سلوك خاطئ، ويمتدح «الكافرين» على سلوك صحيح؛ وهذا هو الذي دفع القرآن إلى ذمّ اليهود، ولأنّهم كافرون، بل لأنهم مستكبرون (ويقولون النبيّين بغير حق)^(٤) (ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وغير ذلك، ومدح النصارى لأنّ منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون)^(٥) (وترى أعينهم تفضى من الدعم ممّا عرفوا من الحق)^(٦) وغير ذلك، حتّى دعا أهل الكتاب إلى (كلمة سوء)^(٧).

ولذلك، فإنّ تكفير الأفكار قد يُعتبر تجليًا لحزبة النقد، والذي يتحلل أن يعبر فيها كل فريق أو إنسان أو جهة عن قناعته هو تمثل، وعنّ قناعة الآخر وما تمثّل بالنسبة إليه.

وهنا، وتحديدًا في تعبيرنا «بالنسبة إليه»: ينبع الفرق بين تكفير الفكرة وتكفير الذات؛ لأنّ التكفير إنّما حصل بالنسبة إلى قناعة الأنا، وحتّى عندما تعبر هذه الأنا عن فلان أنّهُ كافرٌ، فإنّ المقصود أنّه كافرٌ بالنسبة إلى الفكرة التي تعتقد أنّ الحقيقة تدور مدارها.

طبعًا، هذا لا ينفى أنّ مصطلح الكفر نفسه قد أصبح خجّزًا الكثير من الأفكار والصور السلبية، حتّى أصبح إطلاق الكفر موجبا للتقييم السلبى للذي يطلقه، مع أنه – في أصله – مصطلحٌ علميّ تصنيفي إذا بقي في حدود عالم الأفكار، وبقي منضبطا في إطار قواعد الحوار والجدال بالتي هي أحسن.

وتلك النسبية ستجعلني – بالبداهة – أعتبر أنّ ما هو واضح بالنسبة إليّ أنّه يمثل الحقيقة، قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين؛ بل لن يكون نظر الآخرين قد آكون أنا الكافر وليس هم؛ ولا يؤثّر في ذلك فكرة أنّ الحق لا يتعدّد، وإنّ الناس إنّما تصبّيه وتخطئه، وإنّهُ ليس هناك الحقّ والباطل، كما قال تعالى: (فماذا بعد

المكن المستحيل . . . !

■ ثائر أحمد إبراهيم*

الطوباويون الذين يرتكزون إلى معرفتهم بالماضي لبناء مشهد المستقبل بعكس ما يتوهون به من كونهم ضالّين منضلين عن الواقع، يعلمون تماما أنه لا يوجد لحلم ميكر، وإن الحياة سيرورة تعتمد التطور أكثر من الابتكار، هذه حقيقةً اثبتتها العلم بتجارب الواقع.

الطوباويون يدركون حقيقة الممكن الكائنة في أنه لا مستحيل تحت السماء فيحرضون على تحقيقه، لكنهم شريحة اعجزها الممكن السيطر على الممكن من تحقيق الحلم باقتاد ارادة استخدام الأداة المناسبة لذلك.

إنهم يدركون الفرق بين الممكن وبين المتّمكن، ويدركون أنّ المدن المتمثل برؤية مستقبلية يعطل تحقيقه المتّمكن المدير لدفة المسيرة الساعية إلى الفوز بالحالة.

تلك هي فلسفة العجز والانسجام المتداخلة مع ارادة الخير في القتال وعدم رغبته في استخدام أدوات الشرّ ذاتها للدفاع عن الحلم.

تلك قصة أمة سرّقت ممتكّناتها وممكنها وأحاله مستحبالا. احتدكم عن أمة تعرب التي تجاوزت طوباويتها كل طوباويات شعوب العالم الأخرى، لا لأنها الأكثر خيالية وخصوبة بل لأنها الأكثر تعفرا عن تحقيق ممكنها عبر تاريخ وجودها، بحيث غدا ممكنها يتسلطه إرسانه رابع المستحيلات.

الثبت الطيب لا يؤتي اكلة ما لم يزرع في أرض طيبة، هكذا كانت الأمة أرضا طاهرة خصبة صالحة للغراس الرحمانية اصطفاها القدير هميلا للبيانات جميعا وميزها من باقي الأمم. وخلق من جورها إنسانها المحامي عن سيادتها القتال في سبيل استعراها.

إن حثيث لا علاقة له بالتعبّض لنطاق جغرافي حوى عرقاً بشياً خاصا، بل هي الفطرة الجبولة بغير كثير من المعرفة

ويقين الانتماء إلى نراب ضمّ أحداث الأجداد، تاريخهم، تاريخهم، الأمم، أفراسهم، أناسهم، وبالوفاء والعرفان لهذا التراب الذي أعطى بغير حساب من خيره ومخيراته للقائطين فوقه.

التاريخ يخبر أنّ الأمة تميّزت بعبقاتها البشرية والطبيعية، ما جعل منها لها لكل شذاذ أفاق وهديلا للتفاضّض من الساعين إلى استعباد البشرية.

وبإناتها أمة برغم ملماتها، تحاملت على جراحاتها ونهضت من كبواتها لتواكب ركب الحضارة الإنسانية دائما معتمدة اعتقادها بأن الإنسان هو غاية الحياة.

ما الطوباوية فتخبر أنّ الأمة ما بدلت عقيدتها المرتبطة بالمتقاعها بحرية الإنسان، غير أنّ الحرية التي كانت بالنسبة إلى شعوب العالم قابعة قدرة تبني الحضارة وسبيلا للتطوير وكشف المفترحات، كانت عدّمأ سبيلا للجنون والغرائزية والتفتت، إننا الممكن عند الآخرين والمستحيل والحلم الضائع عند أمة يعرب.

فلنكنّ متصفين وتعترف أنّ الإطلاق في مراحل تاريخية متعاقبة أودى بالبحرية إلى غير طريقها القويم فتحوّل الحق إلى باطل، وأدى الطموح لطمعا والغبثانية إلى إفوضى.

بيد أن الواجب والضرورة كانا في أنّ يتكلم الجميع بلا مواربة ولا تحايل عن الممكن وعن غير الممكن، وكان الحق في أنّ يتودحوا على تحديد ماهية الممكن ليتكتموا من تبني أحد خيارين عند التعامل مع المتطلبات الطوباوية لتحقيق الحرية؛ فإما إطلاق الحريات على غاربيها مع قبول خطر إمكانية انفلات الأمور بشكل دائم نحو الفوضى على اعتبار أنّ الإنسان منقلت بطبعه، وإنما بتغيير الحريات ضمن أطر معينة مع توقع ما سيحصله لها من تتسّف عند التقيد، وبما قد ينتهي بالرقيب المتصنّ لمراسة قمع متوقع أو تآويل في غير محله اتكاء على اعتباراته لا سيّما في الدنيا بيكن أنّ يتبرك بحقوقه.

السؤال الملحّ بقي بدون إجابة، ولم يتجرأ أحد على تحمّل تبعات تبنيه، لذا تركت الأمور على إبهامها لتمارس الحرية من قبل المجتمعات، وبما تمكنتها وفق أهوانه، ولنتمع عن طوباويين الساعين إلى إنجاز ممكنهم لحظة تعارضها مع حرية المتّمكن.

تجاهل المتّمكن ومن يلود به حقيقة مفادها أنّ الحرية لا تضاهى إلا إذا تفكّعت الفرد حقوق الآخرين واحترمها كلما مارس حقه، وتغافل المجتمع والمسحوسين عليه عن كونهم أفرادا ضمن بيئة اجتماعية لإفرادها حقوق يجب أن تضامن، وبأنه كلما احترمت حريات الأفراد كلما كان المجتمع أكثر انضباطا ذاتيا.

ولقد ساهم المنظرون في تضليل المجموع عن حقيقة قيمة

الحقّ الّا الضلال)^(٨)، ذلك لأنّ ما تحركّه به كيشر غير معصومين عن الخطأ أمّا هو الفناعات، أي قناعة أنّ فكري هو الصواب وفكر غيري هو الخطأ: أمّا أنّ قناعتى صعبة للثق بالضرورة، فليس كذلك؛ إذ ما المانع أنّ تكون قناعتى مغلّطة أو غير دقيقة!؟ السنا نغير كثيرًا من قناعات سابقة نتيجة اطلاعنا على معطيات جديدة، أو نتيجة تغيّر وجهة نظرنا في الموضوع؛ في الوقت الذي لو سلّمنا واليقين أنّ قناعتنا هي الحقيقة.

وقد نلح هنا أنّ منظومة القيم في نظر الإسلام وتبسيّلة، بمعنى أنها تؤخّذ واحدة والوحدة، وليست مرتبطة بمجرد الانتماء إلى جماعة، وهذا هو الذي جعل القرآن يذّم المسلمين على سلوك خاطئ، ويمتدح «الكافرين» على سلوك صحيح؛ وهذا هو الذي دفع القرآن إلى ذمّ اليهود، ولأنّهم كافرون، بل لأنهم مستكبرون (ويقولون النبيّين بغير حق)^(٤) (ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وغير ذلك، ومدح النصارى لأنّ منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون)^(٥) (وترى أعينهم تفضى من الدعم ممّا عرفوا من الحق)^(٦) وغير ذلك، حتّى دعا أهل الكتاب إلى (كلمة سوء)^(٧).

ولذلك، فإنّ تكفير الأفكار قد يُعتبر تجليًا لحزبة النقد، والذي يتحلل أن يعبر فيها كل فريق أو إنسان أو جهة عن قناعته هو تمثل، وعنّ قناعة الآخر وما تمثّل بالنسبة إليه.

وهنا، وتحديدًا في تعبيرنا «بالنسبة إليه»: ينبع الفرق بين تكفير الفكرة وتكفير الذات؛ لأنّ التكفير إنّما حصل بالنسبة إلى قناعة الأنا، وحتّى عندما تعبر هذه الأنا عن فلان أنّهُ كافرٌ، فإنّ المقصود أنّه كافرٌ بالنسبة إلى الفكرة التي تعتقد أنّ الحقيقة تدور مدارها.

طبعًا، هذا لا ينفى أنّ مصطلح الكفر نفسه قد أصبح خجّزًا الكثير من الأفكار والصور السلبية، حتّى أصبح إطلاق الكفر موجبا للتقييم السلبى للذي يطلقه، مع أنه – في أصله – مصطلحٌ علميّ تصنيفي إذا بقي في حدود عالم الأفكار، وبقي منضبطا في إطار قواعد الحوار والجدال بالتي هي أحسن.

وتلك النسبية ستجعلني – بالبداهة – أعتبر أنّ ما هو واضح بالنسبة إليّ أنّه يمثل الحقيقة، قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين؛ بل لن يكون نظر الآخرين قد آكون أنا الكافر وليس هم؛ ولا يؤثّر في ذلك فكرة أنّ الحق لا يتعدّد، وإنّ الناس إنّما تصبّيه وتخطئه، وإنّهُ ليس هناك الحقّ والباطل، كما قال تعالى: (فماذا بعد

الفرد التي مفادها أنّ الاحترام يبدأ بقبول المحيط للفرد أو لمجموعة الأفراد وفق المعايير الحقيقية لتقدير قيمة الفرد، لتبدو القيمة مرتبطة بدرجة الاهتمام التي يوليه المجتمع أو الأفراد للفرد الواحد، إننا حاجة الناس لهذا الفرد سواء من قبل حلقة كبرى يعيها ويقيدها، أو حلقة بعيدة ترى فيه قدوة أساسيا أو تافهاها مشيا.

إنها مجمل ما يقدمه شخص إلى تلك الحلقات بغضّ النظر عما سيجنبه شخصيا من مردود مختلف الأشكال، وبهذا يتحوّل الأمر إلى تبادل للمصالح يتباين بين مقدار حاجة المجتمع المنظم المتضبط لهذا الفرد وبين مقدار حاجة الفرد لهذا المجتمع، إننا المساواة في الحقوق ومنع امتيازات تحت ظل القانون، فهل يُعقل أنّ تكون هذه طوباوية متقدّرة؟

للؤذ والاستنواء بالعرف واللون والطائفة والعشيرة تقضي عليه الفقة المطلقة بالتنظيم المتوحد من الإحساس بوجود عدالة قائمة، تلك فقة أكبر وأفضل وأضمن لمن يقفد مرجعيات الاستنواء المختلفة العديدة عن مؤسسات الدولة والمجتمع والإنسان الذي يلجأ إلى مؤسسات الوطن يشعر بالمانعية أكثر لناحية عدم تحمّل عقوبات الأخلاقية الاجتماعية

اعتبار أنّ الدولة لا تملك عواطف عند الاقتراس من المظنّئين بما يجعل طالب الحق قانونيا مذنورا اجتماعيا في ما قد عرفه، فلا يّام فرد عند استعمارها بالقانون، في حين أنّ الاستعمار بغير القانون يرتد على فاعله ضغينة وحقدا ورغبة بالانتقام، وهذا أيضا ليست طوباوية بل هي قواعد البناء التي يؤكّدها التاريخ والواقع.

العادلة طوباوية لن تتحقّق، طالما أنّ الفساد راح ينقله على المجتمع، لذا كانت محاربة الفساد بتطوير الأدوات الاربانية مع الإحساس العالي بالمسؤولية والقداس من ستجعل الفساد محمطا ضعيفا مغلطا.

إنها معركة تبين الممكن الطوباوي وبين المتّمكن المعطل، معركة تسبب التسعيفين والمتتمرنين على حدّ سواء من كل حدب وصوب، فإذا ما انتصر الفساد ذهب الناس باتجاه دعه، وإذا ما انتصر القانون لانت الناس به.

شرّح القانون لاجل المتصعفين عديمي القدرة على حماية حقوقهم، فالغني وابن العشيرة والارغامه ضحفي بالمعزوة بعكس الضعيف والفقير، وليس اظلم من أنّ يجد المصعّف نفسه مكرس عسا في كل حركان لؤذ من أجله كانت وما زالت في عنده يقفد الأمان من هو موكل بحمايته ومن هنا فإن إعادة الثقة بمؤسسات الوطن أهم بكثير من.

هذا أمر خطير جدا، فالظلم هو الأساس والعلة التي تدفع الفرد إلى التمرد على المجتمع ليتحوّل إلى عائلة عليه ونقطة ضعف فيه بدلا من أن يكون مصدر قوه له، هذه ليست طوباوية يا سادتي هذا حق وضرورة.

وحتى يحسن الفرد بوجوده ويلبغ من خياله فكرة العزل والانعزال، لا بد من إعطائه فرصة إيجاد ذاته، وتلك لا تكون إلا إذا تحزّل الفرد بالعلم الذي يجيده والذي يضمن مردودا نافعاه له يساعد في البقاء ومن ثم في التطور.

هذه أشياء لا يوضع ميزانها إلا بتحقيق تكافؤ عادل لفرد إثبات الوجود، هكذا هي الظلم العادلة التي تنظر إلى مواطنيها على قدم المساواة، فهل هي نظم طوباوية؟

أجيبكم يا سادتي بأن هذه ليست طوباوية، إنها معضلة الأمة العربية، فمشكلة لؤذ من الأمة كانت وما زالت في التطبيق والممارسة، ولعله أنّ الأوان أن يعطى للمجتمع حقه في الدالة على الانتباهيزين وتعريفهم بأن يمارس رقايته الذاتية على أعمال المسؤولين.

وأنبه زفرتي مقتبساً شيئاً من أحد مقالات الطوباوية، تاركاً للفهم حرية التمييز والإجابة عن ماهية ما سيلي من مقال: هل هو طوباوية خرافية، أم يديديه وسملات واقعية، أم هو الممكن المستحيل...! (الامة) تختص بمزايها متجلبة في نهضاتها المتعاقبة وتنسم بخصب الحسوبة والإبداع وقابلية التجنّد والابتعاث ويتناسب انفعالها مع نمو حرية الفرد ومدى الانسجام بين ظهور وبين المصلحة القومية، فحرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والبن مقدسة، ولا يمكن لأي سلطة أن تنتهكها طالما أنها لا تضّرّ بالمصلحة القومية للأمة، والمواطنون متداولون أمام القانون، مساوون بالإنسانية، متفاضلون بالقيمة التي تقدر بعد منحهم فرصة متكافئة حسب العمل الذي يقومون به في سبيل تقدم الأمة وازدهارها من دون النظر إلى أي اعتبار آخر.)

*محام

الوحشي، وصولاً إلى وقتنا الحالي، حيث لا يزال الوجود «الكافر» محتضناً في البنية يتطلق فقط من نقد منهج التفكير لدى تلك الجماعات، وأنما يحتاج إلى تغيير في البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للجمعات؛ لأنّ واحدة من المؤشرات الهامّة على ذلك الارتباط بين الفكر والمجال المجتمعي الذي يعيش فيه أصحابه، هو أنّ ذلك المجال يقوم على الاستبداد السياسي والقطع الثقافي والتوحّش الاجتماعي وكذلك على الفقر والحرمان والتزاييم الاقتصادي.

وقد نفهم هنا، أنّ كثيرًا من التعاليم الأخلاقية وال تربوية في الإسلام، إنّما كانت تستهدف إصلاح المجال الذي يعيش فيه الإنسان؛ لأنّ فساد المجال يؤثّر سلبًا على الذين يعيشون ضمنه، وهذا ما نفهمه من الأخلاقيات المرتبطة بالتسامح والعفو والحلم وسعة الصدر والرحمة والحبّ وما إلى ذلك، إضافة إلى البنى التي يقوم عليها الاجتماع الإنساني، كالعقل والقانون والتكافل الاجتماعي، والعلم وحرّيّة التعبير والحوار الباتى هي التي تعيش فيه، وهو عالمٌ يتعبرون عنه العالم «الطهوري»، الذي لا ينبغي أن يدنسه العالم «النجس»، الذي يعيش فيه الناس الانغماس في العليقات والفسلفة، ويمارسون فيه الشرك، وغير ذلك ممّا سمعناه وقرأناه في أدبيات تلك الجماعات في حكمها على الواقع.

وإنّ هذا النهج يكشف عن ضعف في الأخلاقية الأنفة لا بدّ أنّ تتحوّل إلى منظومات وشبكات تدخل في صلب عمليّة بناء المجتمع وإرساء قواعد حركته؛ فتصبح العلم – مثلاً – لا بدّ أن يعبر عنه بالمنهج التعليمي الذي يكفل للإنسان أن يفكر باستقلاليّة لا أن يكون عبارة عن أدلجة من دون معايير نقدية، وأن تكون لدينا مؤسّسات ترمع البحث العلمي وتشكّل مجالاً لاختيار الأفكار، حتّى المتطرّقة منها، حتّى في ما يرتبطها بعمارة المؤسسة التربوية وهندستها ومدى افتقاحه وانعكاس ذلك على الروح والنفس.

- سورة المائدة، الآية 73.
- سورة المائدة، الآية 17.
- سورة البقرة، الآية 62.
- سورة آل عمران، الآية 21.
- سورة المائدة، الآية 82.
- سورة المائدة، الآية 83.
- سورة آل عمران، الآية 64.
- سورة يونس، الآية 32.

«صحة الناتو» . . . خلفيات وأبعاد

■ حسن شقير*

في عدده الصادر في 09-10-2009، نشرت مجلة «Foreign Affairs»، دراسة مطوّلة تستلّمثار الأمن القومي الأميركي الأسبق زيغنيو بريجنسكي، جاءت تحت عنوان «أجندة جديدة للناتو نحو شبكة امن عالمية»، والتي جاءت عقب اجتماع قادة الدول الأعضاء في الحلف للمناسبة الكبرى السنين لتأسيسه.

في تلك الدراسة الالاتفة، أشار بريجنسكي إلى أنّ الدول الأعضاء، كلّفت الأمين العام الجديد (الحالي) للناتو، أن يطوّر مفهوماً استراتيجياً جديداً للحلف. يتعامل مع الاقل مع أربع من المتغيّرات الأساسية، وهي باختصار «توفير عدائات سياسية مقبولة للناتو، تحديد معنى التزام الأمان الجماعي في العلاقات الخاصة مع مبادئ إنشائه، إشراك روسيا في علاقة ملزمة ومجزية للطرفين، وأخير الاستجابة للإشكاليات الأمنية العالمية المستجدة».

حول هذين المتغيّرين الآخرين، تتركّز هذه المقالة، وذلك نظراً إلى ارتباطهما الوثيق بما يحدث اليوم في المنطقة العربية، وعلاقتها المتزايدة بما جرى في مقاطعة ويلز البريطانية أخيراً في قمة الدول الأعضاء لحلف الناتو، والمعزّرات والتوصيات الصادرة عنها... والتي يمكنها أنّ تُنشع بعضاً من متغيّرات بريجنسكي الرابع.

لقد حدّد بريجنسكي في تلك الورقة، إطار العلاقة المستقبلية بين الحلف وروسيا، ضمن الإلزام والإفادة المتبادلة بين الطرفين، وذلك في مراعاة الدول الأعضاء في حلف الناتو، على أنّ روسيا لا بدّ لها – ولو في مرحلة أولى – أن تعيش الشراكة مع الحلف، في حال تبيّن الانضمام لديه، وخصوصاً أنّ هذه الأخيرة – وبالذات بحسب تقدير المنطوق – ستكون مضطرة للتعاون السياسي والعسكري مع المنظمة – اليورو – أطلسي، وذلك حفاظاً على الأمن الأوروبي، فضلاً عن إشراكها في شبكة أمن عالمية مع هذا الحلف.

لقد أقرّ بريجنسكي في تلك الدراسة بصعوبة إقناع القيادة الروسية الحالية بذلك، إلاّإن المراهنة برأيه، تكمن في ضيق الخيارات الأسيوية أمام روسيا، وخصوصاً لناحية علاقتها الاقتصادية بالصين، وكذلك علاقاتها ضمن منظمة شنغهاي، ودول الاتحاد السوفياتي السابق... وقد أفرد بريجنسكي في تلك الدراسة مقاربات، اعدها حتمية في توجه روسيا المستقبلي.

لم يطابق حساب الحقل عند بريجنسكي حساب البيدر الروسي، ذلك أنّ الأيام والسنوات اللاحقة لتلك الدراسة، برهنت أنّ القيادة الروسية، تتخو نحو مزيد من الاستقلالية في علاقاتها السياسية مع الحلف الأطلسي، وقد ظهر ذلك جلياً في الزمة الأوكرانية الرامته، فقد قامت روسيا بتقديم مصالحها الحيوية وأمّنها القومي، التي قامت لإزالة، على كل المصالح السياسية الصغيرة، أو حتى على بعض الإغراءات اليورو – أطلسية الضيقة... فسارت إلى ضمّ القرم، وذلك من دون ااتركا لكل ذلك الصرخ الأطلسي، وتابتعت في تحذير الغرب من انحصار المنطقة بالحديقة الخلفية لروسيا من خلال إغواء أوكرانيا بضمتها إلى الحلف الأطلسي، وقد واجهت سياسة الاستغناء الالاتبية بحقلها، بعقوبات مماثلة، وبمزيد من الاقتراح نحو الصين، وتوقيع اتفاقيات اقتصادية ضخمة معها، وكذا الأمر مع دول البريكس ومنظمة شنغهاي، أميركا وكندا لعزل وتطوير النظام المالي الفروض أصيرة، على العالم... هذا فضلاً عن انفتاحها على منطقة الشرق العربي أيضاً... ناهيك عن انفتاحها على بعض دول أميركا اللاتينية، وذلك في الحقيقة الخلفية للولايات المتحدة.

لم يكن البديل الروسي، لسقوط نظام الأحادية القطبية لأميركا في العالم، يمكن في الارتقاء بالحدسّن الأطلسي الأرحب للفضاء الأميركي، ولم تكن فكرة الشراكة الأمنية مع روسيا للحفاظ على الأمن الأوروبي، كما أرادها

آراء

*باحث وكاتب سياسي